ويبدو أن طارق بن زياد هو الذي رسم خطة هذه المعركة على هذا النحو لأن الفرق بين القوتين كون الجيش القوطي يفوق الجيش الإسلامي في العدد والعُدة، وهو يُحارب على أرضه في بلد يعرفه وقريب من مصدر الإمداد.

وبعد الانتصار في هذه المعركة الحاسمة التي دلت على قدرة وموهبة طارق العسكرية اتجه إلى الشمال نحو طليطلة عاصمة المملكة وهي تبعد أكثر من ٦٠٠كم عن مكان المعركة الأولى وان دل على هذا شيء فإنما يدل على قوة الأجيال الإسلامية الأولى وعزيمتها وإيمانها بالفتح لنشر الإسلام.

حيث استولى على مدينة المائدة (قلعة عبد السلام) بوادي الحجارة وحصلوا منها على ذخائر ذات قيمة كبيرة ومن بينها مذبح الكنيسة الذي سماه العرب (مائدة سليمان) وبعد إتمام هذه الفتوحات كتب إلى الوالي موسى بن نصير يبلغه الخبر العظيم كذلك بلغت أخباره العدوة المغربية مما دفع بالكثير من أهلها الإلتحاق والإنضمام لجيشه حيث زحف مُسرعا إلى شذونة (شريش) وفتحها، ثم مضى إلى المدور ثم عطف إلى قرمونة ثم أتجه إلى اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية، ومنها زحف إلى استجه التي تجمع فيها فلول القوط وكانت تعد المركز الأول للمقاومة وبعد حصار وقتال شديد صالحه حاكمها على الجزية، "هكذا هبت رياح النصر على المسلمين، وقذفوا أعداءهم بالرعب، وكانوا يظنون طارقا راغبا في الغنائم عاملا على القفول فسقط في أيديهم، وتطايروا عن السهول إلى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم إلى دار مملكتهم طليطلة"[1].

وكان جيش طارق قد تضخم عمن وفد إليه من أهل المغرب، فوزع قسما من جنوده في بعوث جانبية وفق الخطة الإسلامية في فتح البلدان، فأرسل سرية مكونة من ٧٠٠ فارس بقيادة مغيث الرومي إلى فتح قرطبة، وسرية أخرى إلى مالقه، وسرية أخرى إلى البيرة، أما هو فقد سار ببقية الجيش إلى كورة جيان قاصداً طليطلة حيث دخلها فاتحاً في سنة (٩٣هـ/٧١٢م) دون مقاومة تُذكر بعد هروب كبار القوط ورجال الدين فلاحقهم طارق إلى ما وراء جبال طليطلة، وعاد بعد ذلك إلى طليطلة لقضاء فصل الشتاء الذي كان قد اقترب لإراحة جنده وتنظيم ما قام بفتحه من تلك البلاد[2].

---

(١) ابن خلدون، العبر، دار الكتاب العلمية، بيروت ٢٠٠٦، ص

(٢) انظر، الخريطة رقم ( ) في نهاية الكتاب

دخول موسى بن نصير الأندلس واشتراكه في الفتح

كان طارق بن زياد بزحفه الخاطف إلى طليطلة كمن دق أسفينا في وسط شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا) وبقي جناحاه مكشوفان، الأمر الذي كان يشكل خطورة كبيرة إذا ما قام العدو بحركة إلتفاف وقطع عليه خطوط إتصاله بالمغرب الإسلامي، لذلك أسرع موسى بن نصير بإعداد جيش كبير بلغت عُدته ١٨ ألف جندي معظمها من العرب هو الذي عُرف في التاريخ بطالعة موسى عبر به البحر إلى الأندلس في رمضان (٩٣هـ/٧١٢م) لإنقاذ هذا الموقف وليس حسداً لطارق على الفتح كما ذكرت بعض المصادر، وأنه أراد أن ينال نصيبه هو الآخر من شرف الفتح والجهاد، وعند نزوله إلى البر الأندلسي سار بقسم من هذا الجيش إلى الغرب ولم يتخذ نفس الطريق الذي سار ه طارق بن زياد حتى فتح العديد من كبريات المُدن، إذ فتح قرمونة، اشبيلية، ماردة، لبله، باجه، ثم أتجه بعدها إلى طليطلة حيث التقى بطارق ويُقال أن موسى أهانه أو ضربه بالسوط وغير ذلك من الروايات لتجله في عمليات الفتح وتعريض جيشه إلى الخطر، ولكن هذا كله غير صحيح وربما يكون الرجلان قد تعاتبا ولكننا نجدهما عقب ذلك يسيران معاً لمواصلة الفتوح.

لقد قضى موسى بن نصير على مظاهر المقاومة في المناطق التي مر بها ومهدها، الأمر الذي جعل فلول القوط تفر إلى الشمال وتتجمع هناك بقيادة لوذريق في وادي الحجارة وقد انتصر موسى عليهم وفرق جمعهم وفي هذه المعركة قُتل لوذريق. وأما القسم الثاني من الجيش فأتجه بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى شرق الأندلس، ففتح مالقه وغرناطة وفي أثناء ذلك أنتفضت أشبيلية على المسلمين فسارع عبد العزيز لإخماد الثورة ثم أستولى على لبله وباجه وأكشونبه وهذه أكبر مدن الجنوب الغربي لشبه الجزيرة التي تقع اليوم في البرتغال وبذلك تكون الجيوش الإسلامية قد وصلت إلى ساحل المحيط الأطلسي في هذه الناحية من أوروبا كما وصل القائد عقبة ابن نافع من جهة المغرب الإسلامي سابقاً.

وبعد أن قضى كل من الوالي موسى بن نصير والقائد طارق بن زياد شتاء ٩٤هـ/٧١٣م في طليطلة خرجا سوياً باتجاه الشمال لإستكمال فتح شبه الجزيرة حيث اتجاها إلى سرقسطة وفتحاها سنة ٩٤هـ/٧١٣م وقام التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني باختطاط مسجد سرقسطة الذي سيصبح من أكبر مساجد الأندلس، ثم أتجاها إلى لاردة، طركونة مروراً بمدينة وشقه وفتحوها جميعاً واستمر موسى وطارق في فتوحاتهما في الشمال حتى وصلا جبال البرتات وبذلك لم يبقى إلا الركن الشمالي الغربي من شبه الجزيرة الذي يُعرف باشتوريش من منطقة جيليقية (غاليسيا)

التي زهد فيها العرب المسلمين لوعورة مسالكها وقساوة مناخها وقلة مزروعاتها، فتركوها وهي المنطقة التي تجمعت فيها فلول القوط وكونت نواة حركة الاسترداد فيما بعد.

وكان موسى حسب رواية المقري[1] يعتزم المضي قدماً في فتوحاته حتى يخترق أوروبا من الغرب إلى الشرق ليصل إلى القسطنطينية وهذه الرواية فيها نوع من المبالغة والإسراف كما هو واضح، لأن المسافة بين طليطلة والقسطنطينية لا تقل عن ٨٠٠٠ كم ثمانية آلاف كيلومتر. كلها جبال ومرتفعات، يحتاج إلى قطعها إلى إعداد وعُدد يصعب تصورها[2].

ولكن الظروف لم تُمهل موسى وطارق للاسترسال وراء لاردة حيث وصلت أوامر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك برجوعهما إلى دمشق ليقدما بنفسيهما بياناً عن الفتوح ولم يرفض موسى الإستجابة لهذا الطلب ولكنه طلب إمهاله حتى يستكمل الشمال الشرقي لشبه الجزيرة، ثم يتجه بعد ذلك لفتح الشمال الغربي فأمر طارق بمواصلة السير الطريق الروماني، وسار هو في إتجاه الشمال الغربي نحو جليقية، أما طارق فقد تمكن من إخضاع منطقة أرغون ثم أتجه غرباً ليلحق بموسى فاستولى على ألبه والقلاع (إقليم قشتالة القديمة) وأخيراً استولى على بلدة ليون.

أما موسى فقد دخل إقليم استوريش فاستولى على ابيط ووصل إلى ساحل خليج بسكاي عند خيخون ووصل قائده إلى مداخل إقليم جليقية، شعر موسى أنه أتم فتح شبه الجزيرة وأنه يستطيع بعد ذلك أن يُلبي أمر الخليفة الوليد.

وهكذا نرى هذين الفاتحين العظيمين يأخذان طريق العودة إلى الشرق في سنة ٩٥هـ/٧١٤م وقد تركا الأندلس وراءهما، بعد أن قاما بما يمكن إعتباره معجزة من معجزات الفتوح العربية الإسلامية في بحر ثلاث سنوات من الجهد المتواصل والحركة الدائمة، فقد استطاع هذان الرجلان مع مجموعة من المسلمين من عرب وبربر لا يزيد عددهم عن ٣٠,٠٠٠ ألف مقاتل أن يفتحوا بلداً أوروبياً واسعاً يُعد من أصعب الأقطار الأوروبية من الناحية الجغرافية الطبيعية.

يُعد الوالي موسى بن نصير أول والي عربي مُسلم من ولاة الأندلس يحكم بلداً أوروبياً وقد أكد ذلك عندما أمر بضرب عملة إسلامية في دار السكة بطليطلة باللغة اللاتينية.

وقد خلف موسى ابنه عبد العزيز بن موسى والياً على الأندلس مكانه في سنة ٩٥هـ/٧١٤م فاهتم بفتح الأجزاء التي لم تكن قد فُتحت بعد من شرق الأندلس فاتجه بجيش كبير إلى الشرق الأندلسي حيث ثبت الفتح في الجنوب الشرقي أي في مالقه وغرناطة ونواحيهما ثم زحف شمالاً

---

(1) المقري نقلاً عن ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق احمد مختار العبادي، مدريد ١٩٧١، ص٤٩.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص٢٧٤.

إلى كورة تدمير (مرسيه) حيث صالح صاحبها (تيودو ميرد) الذي تُسميه المصادر العربية بـ(تدمير)[1] على جزية سنوية وتذكر بعض المراجع بأن فتوحات عبد العزيز لم تقتصر على ذلك، وإنما قاد حملة كبيرة حيث فتح برشلونة وجرنده حتى بلغ ارجونه ثم فتح بنبلونه قبل سنة ٧١٤م، وبهذه الفتوحات في الشرق والشمال الشرقي للبلاد يكون عبد العزيز قد استكمل فتح الأندلس باستثناء منطقة اشتوريش حيث اتجه بعد ذلك إلى تنظيم البلاد وإدارة شؤونها.

نتائج فتح الأندلس

لكل حدث تاريخي أسباب ونتائج ومن نتائج فتح الأندلس هي:-

١- الناحية السياسية: سقطت مملكة القوط وتحولت إسبانيا إلى ولاية للدولة العربية الإسلامية الكبرى يحكمها ولاة يعينهم والي إفريقية أو والي مصر بموافقة الخليفة الأموي في دمشق قبل سقوط الخلافة الأموية سنة (١٣٢هـ).

٢- الناحية الاجتماعية: أدى الفتح العربي الإسلامي للأندلس إلى تغيير شامل في المجتمع الإسباني فلم يعد ينقسم المجتمع إلى طبقة ارستقراطية (الطبقة العليا) متمثلة في القوط ورجال الكنيسة وطبقة متوسطة تعمل لحساب الارستقراطية وتتقاضى الأجر القليل، وطبقة دنيا من الاقنان والارقاء ويهود ناقمين على الحكومة لاضطهادهم، وإنما ذابت الفوارق بين طبقات المجتمع الجديد بمرور الزمن وظهرت مكونات اجتماعية منها العرب الذين ساهموا في الفتح أو هاجروا إلى إسبانيا واستقروا فيها بعد الفتح، والمغاربة (البربر) هم أهل المغرب الذين ساهموا في الفتوحات، كذلك الإسبان سكان البلاد الأصليين الذين بدوا بتعلم اللغة العربية وسموا بالمستعربين وبقوا على دينهم لأنه لا إكراه في الدين بشرط دفع الجزية، وطبقة المولدين التي ظهرت من زواج العرب بالإسبانيات.

٣- الناحية الاقتصادية: تحسن الأوضاع الاقتصادية في الأندلس، فاعيد توزيع الأراضي الزراعية بين العرب والبربر والإسبان، ولم يعد الإسباني يزرع لصالح الارستقراطية التي لم تكن له سوى النزر اليسير في حين ترك العرب الأرض في يد الإسبان ليزرعوها ويؤدون خراجها الذي حدد بنسبة المحصول وجودة الأرض وبعده وقربه من مصادر المياه.

٤- الناحية الدينية والثقافية: أدى الفتح إلى انتشار اللغة العربية والإسلام وظهور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تدريجياً، وكانت إسبانيا قبل الفتح تعيش في ظلام الجهل ولكن الإسلام أضاء بنوره هذه البلاد وأدى ظهور العلم والثقافة وانتشار الحضارة الإسلامية وإنتقالها إلى أوروبا عبر الأندلس، صقلية، الحروب الصليبية والتجارة والتجار.

---

(١) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص١٣.

الفصل الثاني

تاريخ عصر الولاة (٩٥- ١٣٨هـ/٧١٤- ٧٥٥م)[١]

هو العصر الثاني من عصور الأندلس وصار الحاكم يُسمى والياً، ويبدأ هذا العهد بتعيين عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس في أواخر سنة (٩٥هـ/٧١٤م) الذي أتخذ أشبيلية عاصمة له ويستمر هذا العصر إلى سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) عندما نجح عبد الرحمن بن معاوية (عبد الرحمن الداخل) في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس.

كان تعيين الولاة في الأندلس الذين بلغ عددهم عشرون والياً تولى منهم اثنان لمرتين خلال (٤٢) سنة من قبل الخليفة الأموي في دمشق؛ لارتباط الوالي به سياسياً وإدارياً وعسكرياً وفي مرات أخرى كان يتم تعيينه من قبل والي المغرب لتبعية الأندلس للمغرب الإسلامي أو من قبل أهل الأندلس في مرات أخرى وذلك لبعد الأندلس عن مركز الخلافة في بلاد الشام.

أهم مميزات عصر الولاة

١- إستكمال فتح المدن الأندلسية خاصة في عهد الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير كما ذكرنا سابقاً.

٢- مجابهة الممالك الإسبانية التي نشأت بعد الفتح وصد هجماتهم في الشمال الإسباني.

٣- مواصلة الفتوحات وراء جبال البرنات (بلاد الغال فرنسا) لنشر الإسلام.

٤- تنظيم حملات عسكرية على طول السنة عُرفت بالصوائف (تخرج في الصيف) والشواتي (في الشتاء).

٥- اضطراب السياسة العامة للخلافة الأموية بعد الخليفة الوليد بن عبد الملك ووقوعها فريسة العصبيات القبلية والشخصية، وكان لابد أن يكون لذلك كله أثره في الأندلس كما كان له أثره في المغرب.

٦- ظهور العصبيات العربية (بين القيسية والمضرية) في المغرب ثم الخلاف بين العرب البلديين والعرب الشاميين، ثم المنازعات والحروب بين العرب والمغاربة (البربر) وكان لابد أن يمتد ذلك كله إلى الأندلس.

٧- التنازع على السلطة بين الطامعين فيه ومنها اغتيال الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير نتيجة مؤامرة دبرها كبار قادة الجيش من العرب أمثال أيوب بن حبيب اللخمي وحبيب أبي

---

[١] الحجي، المرجع السابق، ص١٢٩-٢١٢.